وقول المنافقين هذا يحتمل أن يكونوا قالوه علنا بين المسلمين قصدوا به إدخال الشك في قلوب المؤمنين لعلهم يردونهم عن دينهم فأوهموا بقولهم (ما وعدنا الله ورسوله) الخ أنهم ممن يؤمن بالله ورسوله فنسبة الغرور إلى الله ورسوله إما على معنى التشبيه البليغ وإما لأنهم بجهلهم يجوزون على الله أن يغر عباده ويحتمل أنهم قالوا ذلك بين أهل ملتهم فيكون نسبة الوعد إلى الله ورسوله تهكما كقول فرعون (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) .

والغرور : ظهور الشيء المكروه في صورة المحبوب وقد تقدم عند قوله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) في سورة آل عمران وقوله تعالى (زخرف القول غرورا) في سورة الأنعام . والمعنى : أن الله وعدهم النصر فكان الأمر هزيمة وهم يعنون الوعد العام وإلا فإن وقعة الخندق جاءت بغتة ولم يرو أنهم وعدوا فيها بنصر .

والذين في قلوبهم مرض : هم الذين كانوا مترددين بين الإيمان والكفر فأخلصوا يومئذ النفاق وصمموا عليه .

والمراد بالطائفة الذين قالوا (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) عبد الله ابن أبي بن سلول وأصحابه . كذا قال السدي . وقال الأكثر هو أوس بن قيظي أحد بني حارثة وهو والد عرابة بن أوس الممدوح بقول الشماخ : .

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين في جماعة من منافقي قومه .

والظاهر هو ما قاله السدي لأن عبد الله ابن أبي رأس المنافقين فهو الذي يدعو أهل يثرب كلهم .

وقوله (لا مقام لكم) قرأه الجمهور بفتح الميم وهو اسم لمكان القيام أي الوجود . وقرأه حفص عن عاصم بضم الميم أي محل الإقامة والنفي هنا بمعنى نفي المنفعة فلما رأى هذا الفريق قلة جدوى وجودهم جعلها كالعدم أي لا فائدة لكم في ذلك وهو يروم تخزيل الناس كما فعل يوم أحد .

أرض اسم : يثرب عبيدة أبو وقال وسلم عليه الله صلى الرسول مدينة اسم : ويثرب A E والمدينة في ناحية منها أي اسم أرض بما فيها من الحوائط والنخل واللمدينة في تلك الأرض سميت باسم يثرب من العمالقة وهو يثرب من قانية الحفيد الخامس لإرم بن سام ابن نوح . وقد روي عن البراء بن عازب وابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تسميتها يثرب وسماها طابة .

وفي قوله (يا أهل يثرب لا مقام لكم) محسن بديعي وهو الاتزان لأن هذا القول يكون منه

مصراع من بحر السريع من عروضه الثانية المخبولة المكشوفة إذ صارت " مفعولات " بمجموع الخبل والكشف إلى (فعلن) فوزنه " مستفعلن مستفعلن فعلن " .

والمراد بقوله (فريق منهم) جماعة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض وليسوا فريقا من الطائفة المذكورة آنفا بل هؤلاء هم أوس بن قيظي وجمع من عشيرته بني حارثة وكان بنو حارثة أكثرهم مسلمين وفيهم منافقون فجاء منافقوهم يعتذرون بأن منازلهم عورة أي غير حصينة .

وجملة (ويستأذن فريق) عطف على جملة (قالت طائفة) وجيء فيها بالفعل المضارع للإشارة إلى أنهم يلحون في الاستئذان ويكررونه ويجددونه .

والعورة : الثغر بين الجبلين الذي يتمكن العدو أن يتسرب منه إلى الحي قال لبيد : .

" وأجن عورات الثغور ظلامها والاستئذان : طلب الإذن وهؤلاء راموا الانخزال واستحيوا . ولم يذكر المفسرون أن النبي صلى ا عليه وسلم أذن لهم . وذكر أهل السير أن ثمانين منهم رجعوا دون إذنه . وهذا يقتضي أنه لم يأذن لهم وإلا لما ظهر تميزهم عن غيرهم وأيضا فإن في الفعل المضارع من قوله (يستأذن) إيماء إلى أنه لم يأذن لهم وستعلم ذلك ومنازل بني حارثة كانت في أقصى المدينة قرب منازل بني سلمة فإنهما كانا حيين متلازمين قال تعالى (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) هما بنو حارثة وبنو سلمة في غزوة أحد . وفي الحديث : أن بني سلمة راموا أن ينقلوا منازلهم قرب المسجد فقال النبي صلى ا عليه وسلم " يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم " أي خطاكم . فهذا الفريق منهم يعتلون بأن منازلهم بعيدة عن المدينة وآطامها .

والتأكيد بحرف (إن) في قولهم (إن بيوتنا عورة) تمويه لإظهار قولهم (بيوتنا عورة) في صورة الصدق . ولما علموا أنهم كاذبون وأن النبي صلى ا عليه وسلم يعلم كذبهم جعلوا تكذيبه إياهم في صورة أنه يشك في صدقهم فأكدوا الخبر